الانترنت التربوي

د. بدر عمر العمر

• هل شخصية الطفل تحدد منذ الولادة؟

تقول (جودث فيورست) Judith Viorst بأنه مهما كانت طبيعة شخصية إبنك الآن فهي قد وجدت منذ الولادة .لكن ذلك لايعني بأن لا يوجد مجال للأبويين لعمل شيء حيالها.

تبدأ الكاتبة بالحديث عن إبنها (ألكسندر) فتذكر أنه جاءإلى هذا العالم وهو مليء بالحيوية ومغامر لا يخشي الخوف .فهو يقوم بتجربة كل ما يتصل به من أشياء ويتسلق خارج سريره ويقوم بالحبو في أرجاءالمنزل. ونتيجة لذلك فقد تم اصطحابه إلى غرفة الطوارىء في المستشفي أكثر من مرة نتيجة إصابته نتيجة قفزة من الطاولة أو تناول لبعض المنظفات أو جرحه لأنه يمشي دون أن يلبس حذاءه، وكان يحشر رأسه في الفتحات الضيقة. وكثيرا ما تطلب منه الهدوءوالجلوس لكي يستخدم الألوان ولكن دون جدوى. إن أكثر ما يثير انتباهه ويمتعه هو التعلق في الأماكن المرتفعة والخطرة. ونظرا لكثرة العلامات الدالة على إصابته تتساءل دائما كيف تمكن من النجاة من كل تلك المخاطر.

تضيف الكاتبة بأن إبن زميلتها واسمه (جوش) josh إتصف منذ الصغر بالإصرار على التصرف وفق رغباته. فكان يأكل وينام متى أراد ولم تفلح معه محاولات الأبويين لتنظيم جدوله، لدرجة أنه رفض أيضا التدرب على قضاء حاجته في الحمام، وقد درب نفسه فقط عندما أصبح مستعدا لذلك. وقد كان يجادل أبويه في كل شيء.وباختصار فقد كان عنيدا جدا.

• جدل الوراثة أم البيئة.

نحن نسمع كثيرا عن الطبيعة، الوراثة، الجينات والتركيب البيولوجي وهي أمور لاتتشكل حسب نوع البيئة. لقد مر زمن، غير بعيد، عندما كان ينظر للبيئة بأنها المؤثر الأهم

وبناءعليه فقد كان يسأل الأبويين عن كل ما يفعله الطفل. لقد بدأالحديث الآن بالتحويل إلى أن الأطفال يولدون وهم مزودون بطبائعهم الخاصة، وقد دفع ذلك الآباء إلى التساؤل عن ماذا يمكنهم عمله إذن، أكثر مراقبتهم للطبيعة وهى تأخذ مجراها. لنأخذ على سبيل المثال الطفلة (جاسيكا) Jessica التي ولدت وهي تعاني من حساسية مفرطة، حيث من السهل أن تستثار. فقد كان كل ما يحيط بها يضايقها مثل الصوت العالي لأبيها أو فرشاة شعرها أو حتى رائحة منظف الملابس. بل أكثر من ذلك فإن جميع ما يصل إلى حواسها يثيرها ويدفعها للضجر أو الانسحاب من الموقف. وعندما وصلت لسن الثامنة كانت طفلة لا تطاق بين زميلاتها وحتى في المنزل. وهنا السؤال يطرح نفسه هل هذه الخواص التي ولدت معها قد حددت من هي بالضبط؟ وماذا يمكن للوالدين عمله؟

يقول الدكتور (ستانلي جرينسيان) Stanley Greenspan وهو معالج نفسي في جامعة جورج واشنطن بأن هناك الكثير الذي يمكن عمله، من منطلق بأن الشخصية هي تفاعل بين التكوين الوراثي والظروف البيئية. أما كيفية تفاعلهمايعتمد على الطريقة التي يستجيب إليها الأبوين.

• خمسة أنماط من الشخصية.

يقول الدكتور(جرينسبان) بأن الأطفال يندرجون تحت خمسة أنماط من الشخصية، وقد تسبب كل منها مشكله خاصة. النمط الأول هو الطفل الحساس والخائف جدا. وهذا النوع هو الذي تنتمي إليه (جسيكا). النمط الثاني هو الطفل عديم الخوف وهو مثل الطفل (ألكسندر). والنمط الثالث هو الطفل العنيد مثل (جوش). والنمط الرابع هو الطفل المنسحب والذي يندس دائما بين خيالاته.

والنمط الأخير هو الطفل الشارد الذي يصعب عليه معالجة المعلومات التي تصل إليه.

إن الآباء الحريصين يستطيعون تطويع أسلوب تربيتهم حسب نوعية الطفل .فعند التعامل مع الطفل ذي الحساسية المفرطة، لا بد أن يتصرف الأبوين بطريقة رقيقة وفي الوقت نفسه يشجعون لديه الإستقلاليه وتأكيد الذات ويقول الدكتور (جرينسبان) بأن والدي (جسيكا) لابد أن يخاطباها بصوت ذي طبقة معينة ومستوى معين عند ملامستها يحقق لديها درجة من الاطمئنان، ويحاولا تشجيعها على التعامل مع الآخرين. وقد يكون الأمر أصعب عندما يكون عمرها ٨ سنوات لكن يمكن أن تنظم بيئتها على أساس أن يكون هناك صديقان للعب جديدان كل أسبوع في البداية حتى يصل الأمر إلى تقديم صديق للعب كل يوم. وعلى الأبوين تشجيعها أيضا على التحدث عن حساسيتها الجسمية، فعندما تتحدث عن جوانب عدم ارتياحها فإن ذلك يعطيها الفرصةللتعامل معها بشكل أفضل . وهكذا يبدو أن الغايةليست بتغيير أحكام الطبيعة بل في التعامل معها بشكل بناء، أي أن تصبح هذه الطبيعة ميزة وليست مشكلة.

• التأكيد على جوانب القوة في شخصية الطفل

إن الطفل العنيف سوف يصبح أكثر عنفا وأكثر عداءً للمجتمع إذا كبر إذا لم يتمكن الأبوان من وضع حد لذلك لكن الصورة قد تتغير إذا تمكن الأبوان من توفير فرص للطفل لتفريغ طاقته الجسمية ضمن ضوابط محدودة. عند التعامل مع هذه النوعية من الأطفال، فإنه ليس من المنطق أن يطلب منه مثلا الجلوس بهدوء حتى ينهي طعامه، لكن في الوقت نفسه لايسمح له بالتحرش بالأطفال الآخرين .ويقترح الدكتور (جرنسبان) أن يقوم الأبوان بسؤال الطفل عن سبب قيامه بأفعاله هذه، لإعطائه الفرصة في أن يفكر بالاختبارات المختلفة التي لديه بدلا من أن يقوم بتنفيذ كل ما يعن له.

أما فيما يتعلق بطبيعة (ألكساندر) المغامر، فقد أصبح مشاركا في مسابقة الماراثون وتسلق الجبال . تقول والدته أنه كان عليها تحمل بعض مغامراته الأمر الذي سمح لها برسم خطوط حمراءلتصرفاته، وعندما تحين الفرصة وتقول لا .. يستجيب إلى هذه النواهي. إضافة إلى ذلك فقد تعلم من أخطائه ولم يعد يقوم بمخاطر غير محسوبة لكن بقى سلوك المخاطرة هو السلوك السائد في حياته.

لقد تعلمت والدة (جوش) أن تضع حدود لصلابة رأيه دون أن تكون هجومية في ذلك. فكانت تطلب منه دائما أن يتفقا على حلول لسلوكياته معا وقد تحول (جوش) مع الوقت إلي طفل أنيق ومرح. كما وجد (جوش) عملا مناسبا له يتصف بمجال أوسع للمبادرة والإستقلالية بدلا من اتباع الأوامر.

وتقول والدته: لقد احتفظ (جوش) بشخصيته الحقيقية، من حيث أنه يسير الأمور كما يرى، كلما سنحت له الفرصة لذلك.

في حالة أن يكون الطفل سلبيا يستطيع والداه بلطف أن يسحباه منها دون إصابة ذاته الداخلية بالأذى. ويمكن تحقيق ذلك من خلال اصطناع الألعاب التعاونية والتى تحتاج إلى تفاعل مع الآخرين.

بالنسبة للطفل الشارد والذي لا يستطيع التركيز على موضوع معين، يمكن الاستعانة بالموضوعات المصورة ويطلب منه أن يتحدث عن محتواها.

ما هو المهم؟

هل تفيد طرق التنشئة؟ يرد ثلاثة من العلماء وهم مؤلفو كتاب (ليس في جيناتنا) Not in Our Genes، بالإيجاب، من حيث أنه يصعب التفكير في سلوك اجتماعي مرتبط فقط بالتكوين الجيني دون التمكن من تعديله من خلال التشكيل الاجتماعي. كما يرد نوع آخر من العلماء بأن هذا التصور يبالغ في التفاؤل، حيث أن التكوين الجيني هو قدرنا وهو الذي يشكل طريقة تعاملنا مع البيئة التي نعيش فيها. ويحسم الدكتور (جرنسبان) الأمر بأن الخلاف بين الموقفين قائماً منذ فترة طويلة، ويعتقد بأن قيمنا الخاصة بالتعاطف والابتكار

والشرف والحب والثقة جميعها محصلة إلى نوع وتاريخ العلاقة بين الطفل ووالديه وليس للجينات فقط.. لذلك عندما يثار سؤال عن ماذا يمكن للأبوين عمله نقول (كثيرا...).

● كيف تربى ابنك على القيم الحسنة

تقول (أن فيلد) Ann field بأن العالم اليوم غداً أكثر تعقيداً من السابق، لكن مازال هناك مجال لتعليم الأطفال الأمانة والطيبة والشجاعة. إن عالم اليوم عالم صاخب وسريع الوقع لدرجة أنه يبدو من الصعب تعليم الأطفال العادات والقواعد الاجتماعية الحسنة. فهم يشاهدون في التلفزيون ويسمعون من الآخرين عن الجرائم التي ترتكب يوميا. وهذا كله يثير القلق لدى الآباء بأن أبنائهم قد يتأثرون في هذا نتيجة أن الآباء لا يجدون الوقت الكافي للتعامل مع الأبناء. لكن والحقيقة تقال بأن الفرصة مازالت قائمة لغرس القيم الحسنة لدى الأبناء من خلال استراق بعض الوقت يوميا في إطار هذه الحياة الصاخبة من خلال اقتناص الفرص التالية:

● تناول الوجبات معا:

من المستحسن الجلوس مع الأبناء بانتظام والتحدث معهم كلما كان ذلك ممكنا. لأن مجرد التواصل مع الأبناء من خلال التحدث يفتح المجال لتبادل المعلومات وتعويد الطفل على التفكير المستقل وغرس الاحترام، والولاء والمسئولية. إن هذا المناخ يساعد الطفل على بناء الثقة بالنفس وتأكيد الذات. وكما يقول بعض العلماء أنه بدون بناء ذات داخلية قوية ومتماسكة يجد البعض صعوبة في العطف ومساعدة الآخرين.

فهل من الصعب تنظيم الوقت بصورة تتيح الفرصة لتناول الوجبات معا سواء في الغذاء أو العشاء حيث تكون فيها فرصة كبيرة للتخاطب والتحاور؟

● استغل فترة إيواء الطفل إلى الفراش:

تعد فترة الذهاب للنوم من الفترات المناسبة للقيام بمراجعة أحداث اليوم كله حيث يشعر الطفل بالإطمئنان أكثر. فعندما يعرف الطفل بأن هناك من يستمع إلى أحداثه اليومية كالمشكلات التي مر بها أو الإنجازات التي حققها أو المخاوف والارتباك الذي تعرض له سوف يحس بقيمته الذاتية وسوف يتعلم كيف يكون طيباً ومقدراً للآخرين.

● عَود الطفل على العطاء:

إن تعويد الطفل على المشاركة والعطاء من الخصال الهامة جداً التي يجب أن تشجع دائما. فيمكن للأسرة أن تنتهج أسلوب الاشتراك بوضع حصّالة منزلية يضع كل فرد في الأسرة مبلغاً من المال، وفي نهاية كل شهر يعطي ما تجمع من نقود إلى المحتاجين.

أو أن يطلب من الأطفال التبرع ببعض من ألعابهم إلى الأطفال المحتاجين، سواء في بلدة أو البلدان التي يتعرض أهلها وأطفالها إلى نكبات.

● التحكم في مشاهدة التلفاز:

من الواجب عدم التساهل مع مشاهدة التلفاز، حيث أنه من الواجب مشاهدته مع الطفل بل ويفترض أن تتم مناقشة ما يشاهده معا حتى موقعه من البرنامج الذي يشاهده. إن الكثير من البرامج التي يعرضها التلفاز لها أهداف إيجابية. لذلك تتيح المناقشة فرصة لمعرفة ماذا يفكر فيه الطفل وعن ما إذا تمكن من استخلاص الأهداف منها

● راقب من بعد:

راقب أطفالك من بعد حتى تعرف مدى استخدامهم وتطبيقهم للقيم الحسنة ومدى اندماجهم مع أصدقائهم ونوع الحديث الذي يدور بينهم. وكل ما يحتاجه ذلك هو فترة ملاحظة لمدة عشرة دقائق في روضة الأطفال.

● استثمر مشاركتهم الوجدانية:

لقد ثبت علميا بأن للطفل نزعة للمشاركة الوجدانية، وليس أدل على ذلك من قيام الطفل بالبكاء عند رؤيته لطفل آخر يبكي. ويمكنك أن تستثمر ذلك عندما يكبر الطفل. وينصح علماء النفس الطفل بأن يخصص الآباء لأطفالهم عمودين يتضمنان الإجابة على الأسئلة التالية: ماذا فعلت اليوم لأجعل طفلا آخر سعيداً؟ ماذا فعلت اليوم لأجعل طفلاً آخر تعيساً؟ ولماذا؟ وهذا التمرين مفيد جداً للأطفال الذين لديهم مشكلات مع الأطفال الآخرين.

● أعطهم الفرصة لدفع الفواتير:

إن قيام الطفل بدفع الفواتير تساعده على معرفة قيمة النقود. فهناك فواتير كثيرة تدفعها الأسرة، مثل فواتير الهاتف والكهرباء والماء، وفاتورة الشراء من الجمعية التعاونية. سوف يتعلم الطفل من ذلك السرعة التي تصرف فيها النقود. وبالنسبة للأطفال الأكبر سناً يمكن إعطائهم مبلغا من المال ويطلب منهم أن يشتروا أكثر من نوع من الفاكهة. وهذا سيعودهم إلى توزيع المبلغ على الأنواع المختلفة من الفاكهة.

● وجه أنشطته:

ساعد الطفل على الانخراط والالتزام بنوع واحد من الأنشطة سواء الرياضية أو الفنية والموسيقية التي تقدم في منطقة السكن. إن انخراط الطفل بنشاط واحد من الأنشطة سوف يبني لديه حس المسئولية والإنماء للمجموعة.

● ساعده على فهم وجهة النظر الأخرى:

من المهم على الطفل أن يفهم الأمور من وجهة نظر الآخرين، لذلك عليه أن يضع نفسه مكانهم دائما في كل أمر، فعلى سبيل المثال قد يحدث أن لا يصادق طفلك آخر لذلك لا يشاركه ألعابه ولا يوجه له الدعوة لحفلة عيد ميلاده. ببساطة أطلب من طفلك أن يضع نفسه مكان الطفل الآخر وأنتظر النتيجة.

● أغلق المذياع:

عندما تكون مع الطفل في السيارة أغلق المذياع واستثمر الوقت في الحديث معه. وحاول أن تربط الحديث بالجهة التي تقصدها. فإذا كنت ذاهبا للتسوق وجه الحديث إلى موضوع البيع والشراء. وإذا كنت ذاهبا لزيارة أحد الأقرباء وجه الحديث إلى أهمية التواصل الاجتماعي. وإذا كنت تقله إلى المدرسة وجه الحديث إلى أهمية العلم في الحياة.. وهكذا.

● تحدث معه عن نشاطه في المدرسة:

لكي تبعد الطفل عن جفاف المادة العلمية والدروس التي عليه أن يحفظها، إسترجع معه الأنشطة التي قام بها في المدرسة وبالأخص الأنشطة المحببة، حتى يدرك بأن دور المدرسة لا يقف عند حفظ المعلومات فقط.

● لا تجعل من الحبة قبة:

يجب أن يعرف ولي أمر الطفل بأن هناك قيم ثابتة يجب تأكيدها وهناك أيضا بعض الممارسات الاجتماعية المعتادة. فمثلا الأمانة قيمة اجتماعية يجب المحافظة عليها. مقابل ذلك بعد طريقة تناول الطعام عادة اجتماعية. فبرغم من أن طريقة الأكل يفضل الالتزام بها إلا أنه يجب التغاضي عنها إذا لم يتمكن الطفل الصغير من تأديتها على الوجه المطلوب.

● غير أسلوبك حسب عمر الطفل:

لكل مرحلة سنيّة أسلوب للتعامل معها. إن حديث الأطفال الصغار كثيرا ما يجانب الحقيقة لكن لا يمكن أن تعّده بأنه كذب فهو يستخدم خياله الواسع. لكن هذا لا يمنع من أن تبين له بأن ما يقوله ليس حقيقياً. وتوضح له أن الحقيقة أمر مطلوب. لكن الأطفال الأكبر سنا يعرفون الفرق بين الصدق والكذب ودور الوالدين هنا هو تسهيل الموقف الذي يساعدهم على تجنب الكذب بل وتشجيعهم على أن يكونوا صادقين.

● كن نموذجا للصدق:

كثيراً ما يغفل الأبوان عن حقيقة أن الأطفال يكتسبون كثيراً من سلوكياتهم من خلال ملاحظة تصرفات الأبوين وليس ما يقال لهم فحسب. فإذا طلب الأب من إبنه أن يخبر زميله

المتصل بالهاتف، بأنه مشغول. وهو غير ذلك. فأول فكرة سوف تخطر على بال الطفل بأن أباه لا يقول الحقيقة. فإذا لا يمنع عليه وأن يتصرف على نفس الشاكله.

● عود الطفل على القراءة بوقت مبكر:

إن كثيراً من المفاهيم والقيم يكتسبها الطفل نتيجة لما يقرأ له من قصص في الكتب أو ما يقرؤه هو من قصص تتناسب مع عمره الزمني. إن الأفكار والقيم التي تتضمنها هذه الكتب في هذه الفترة أكثر التصاقا ورسوخا وتمثل القاعدة الأساسية لقيمه.

● شارك الطفل قصص نجاحك:

من الأمور الممتعة بالنسبة للطفل هو أن يعرف كيف شق والداه طريق الحياة ومجموعة النجاحات التي حققاها في حياتهم. وبذلك سوف يتم زرع البذرة الأولى للعمل الجاد بالنسبة للطفل. ومن الأمور الهامة التي يجب أن يعرفها الطفل بأن الحياة لا تستقيم عن طريق محاباة الآخرين، بل من المهم جداً أن يقول الفردرأيه بصراحة إذا كان موضوعيا وصائبا. إن ذلك كله سوف يشكل أسلوب تعامل الطفل مع أصدقائه وسوف يجعل منه ذا صوت مرتفع وصريح بينهم.

● لا تغفل أي أسلوب يعبر عن القيمة:

في رحلة الأبوين لزرع القيم يجب أن يعضدا كل أسلوب معبر عن القيمة، فإذا أراد الطفل أن يساعد في تجهيز المائدة، يجب أن لا تمنعه من ذلك وأنت تعرف أنه لن يؤدي ذلك بشكل صحيح. وإذا رتب غرفته ولم تكن بعض الأشياء في موقعها الصحيح يجب أن لا يؤاخذ عليها، بل كل ما عليك هو توجيهه. لذلك أن تعليم القيم لا تحتاج إلى وقت بقدر حاجتها إلى صبر.